*PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8):642-660*

*ISSN: 1553-6939*

# The question of the body in Western philosophy (from marginalization to transgression)

**Dr. Hamida Harbadji[1], Dr. Yacine Mechta[2]**

[1]University of Algiers 02 (Algeria).

[2]High School Teachers Bouzareah (Algeria).

**The Author's E-mail:** herbadjihamida4@gmail.com[1], mechta.yacine@ensb.dz[2]

**Received: 25/02/2024** **Published: 21/08/2024**

## Abstract:

The body was subjected to oppression and marginalization in classical societies governed by the authority of idealistic philosophies that believed that the subject of human identity was the mind and that it was a fixed value and the source of knowledge. They did not recognize the authority of the body except in what served the mind or logos. Rational philosophers believed in the mind's ability to discover, realize, and comprehend, and made it the absolute authority. As for the body, it is a prison for the soul that prevents it from being liberated. There are those who view it as a material thing that hinders the soul from reaching its divine origin. This view changed thanks to philosophers such as: Nietzsche and Foucault... and the body was restored.However, this perception turned into a mechanistic view of the body due to the scientific change that sees the body as subordinate, which had repercussions that led to the emergence of the body as a subject of scientific experimentation, represented by those medical practices that were applied to the body in the name of technological developments, but this is considered an attack on the body. Such as cloning, abortion, euthanasia... Rather, the body has become the subject of change and transformation, whether through cosmetics or genetic modification, which is mixed with profit motives to the point that the body has become a commodity, not only in the scientific field of transplantation and sale. For members, and even in the field of advertising due to the possibilities of excitement it provides, meaning the vision of the body has moved from contempt to interest and then to transgression.

**Keywords:** The body, marginalization, question, transgression, Western philosophy.

**سؤال الجسد في الفلسفة الغربية ( من التهميش إلى التعدي)**

**ملخص:**

تعرض الجسد للقهر و التهميش في المجتمعات الكلاسيكية المحكومة بسلطة الفلسفات المثالية التي كانت ترى أن موضوع هوية الإنسان هو العقل و هو قيمة ثابتة و منبع المعرفة، فلم تعترف بسلطة الجسد إلا فيما يخدم العقل أو اللوغوس. فقد آمن الفلاسفة العقلانيون بقدرة العقل على الاكتشاف و الوعي و الاستيعاب و جعلوه السلطة المطلقة. أما الجسد فإنه سجن للنفس يعطلها عن التحرر. و هناك من نظر إليه باعتباره شيئا ماديا يعيق الروح عن الوصول إلى أصلها الرباني. هذه النظرة تغيرت بفضل فلاسفة أمثال: نيتشه فوكو... و أعيد للجسد اعتباره. و لكن هذا التصور تحول إلى نظرة آلية للجسد بسبب المتغير العلمي الذي يرى الجسد تابعا، الأمر الذي كانت له انعكاسات أدت إلى ظهور الجسد موضوعا للتجربة العلمية، تمثلت في تلك الممارسات الطبية التي طبقت على الجسد باسم التطورات التكنولوجية، إلا أن هذا يعد تعد على الجسد كالاستنساخ، الإجهاض، الموت الرحيم.... ، بل أصبح الجسد موضوع تغيير و تحويل سواء عن طريق التجميل أو عن طريق التعديل الوراثي، و هو ما اختلط بالدوافع الربحية إلى درجة أن أصبح الجسد سلعة، ليس فقط في المجال العلمي من زرع و بيع للأعضاء، بل حتى في مجال الإشهار نظرا لما يتيحه من إمكانات الإثارة، يعني انتقلت الرؤية إلى الجسد من الاحتقار إلى الاهتمام ثم إلى التعدي.

**الكلمات المفتاحية:** الجسد، التهميش، سؤال، التعدي، الفلسفة الغربية.

**مقدمة:**

احتل الجسد في الوقت الراهن مساحة واسعة من الأبحاث الفلسفية بعد معرفة أهميته، هذه الأهمية والراهنية دفعت العديد من الفلاسفة والباحثين المعاصرين إلى التطرق إليه وإعطائه تصورا جديدا.

في ظل ما يحدث اليوم في العالم من تغيرات فكرية، ثقافية وتكنولوجية، حاول العديد من الفلاسفة والباحثين المعاصرين توضيح ما آل إليه الجسد في واقعنا الحالي، و أبرزوا قيمته رغم ما يحيط به من مفارقات و قدموا فهما جديدا له.

إن الاهتمام بالجسد اليوم أصبح ضروريا، و هذا ما أدى إلى الاهتمام به أكثر من خلال الاهتمام بالجانب الجمالي مثلا. غير أنه تمت السيطرة عليه من جديد حسب الباحثة الإيطالية ميشيلا مارزانوMaezano Michela(1970م)، و غيرها من الفلاسفة، وتم جعله موضوعا في خدمة بعض المنظومات الفكرية و الثقافية مما أدى إلى ما يعرف بالاغتراب، فأصبح الإنسان يعيش غربة في جسده.

لذلك، فالإشكال الذي يمكن طرحه في هذا السياق هو: كيف تم هذا الانعطاف من تغييب الجسد إلى الاهتمام به و تقديسه، لتتحول النظرة إليه إلى تعد و تجاوز؟كيف كان الخطاب الفلسفي في الجسد عبر العصور؟ ما الجديد الذي أضافه الفكر الفلسفي الغربي المعاصر لموضوع الجسد؟

## 1- النظرة التقليدية للجسد.

احتقرت الفلسفة الجسد و أحطت من قيمته منذ العصور القديمة، ونظرت إلى النفس على أنها أرقى منه باعتبارها ثابتة، خالدة،... بينما الجسد فهو جزء فان في الإنسان، متغير، قابل للقسمة، و على هذا فهو أدنى مرتبة من النفس، فنشأ ما يسمى بالإثنية، أي ثنائية الجسد والروح، و نظر إلى الجسد نظرة دونية.

### أ- الجسد بين الاقصاء و التغييب في الفلسفة القديمة( سقراط ، أفلاطون):

بنى سقراط(470-399ق.م)موقفه من الجسد انطلاقا من مسلمة أولى و هي أن الموت بالأصل انفصال النفس عن الجسد، لذلك عندما حكم عليه بالموت لم يبد أي خوف، ذلك لأن الجسد هو عائق أمام وصول النفس للحقيقة. و يورد في محاورة "فيدون" أن الفيلسوف

الحقيقي هو ذلك الرجل الذي يحتقر اللذات كلذة الطعام و الشراب و الجنس....،و كل ما يتعلق بالجسد، ويهتم بالنفس و صفائها للوصول إلى الحقيقة، فالجسد يتعرض للمرض ويجرنا للحب والشهوة، بل و يرمي بنا إلى الحروب بغرض امتلاك الثروات، ولا يوفر التفرغ للبحث الفلسفي.

الموقف نفسه يتخذه أفلاطون( 427-347ق.م)تلميذ سقراط، حيث اعتبر أن النفس في علاقتها بالجسد تبدو الموجهة، بمعنى آخر يسميها بالسيد و بالتالي فهي تشبه الإلهي،أما الجسد فهو أقرب إلى العبد أي أنه مسود لأنه فان.إن علاقة الجسد بالنفس هي علاقة السجن بالسجين و العلة في ذلك هي الشهوة التي تقوم بدور القيد و النفس لا تكون ذاتها على الحقيقةإلا بقطع العلائق مع الجسد مصدر التدنيس و الخطيئة و أن تبقى في ذاتها مع ذاتها و هذا هو شرط نشاطها الخاص بها ألا و هو الفكر[1].هنا يبين أفلاطون الجدل القائم بين قوتين متعارضتين إحداهما تنصاغ لأوامر العقل و الأخرى تنصاغ إلى الرغبة، فالنفس تتميز بالحركة فهي تحرك نفسها و تحرك الجسم الذي تتحد معه.

إن الطرح السقراطي- الأفلاطوني يرى أن الجسد يتجه دائما نحو الرغبات و الشهواتوتسيره الغريزة، بينما تتجه النفس نحو الحكمة و العلم، و هذا تصور يحمل ثنائية واضحة، كما أن فيه تصريح بتفوق النفس و رفعتها على الجسد، و ضرورة تحكم النفس في الجسد.

فالحياة إذن موت للنفس لأن النفس تعيش سجينة للجسد، و هذا الأخير بمثابة قبر للنفسولهذا يجب أن نعكس الآية بأن نتعلم كيف نموت.

خلاصة موقف الفلسفة القديمة ممثلة بسقراط و أفلاطون، أن الإنسان يتكون من جوهرين متمايزين: روح و جسد. الروح من طبيعة إلهية، و جسد من طبيعة مادية فانية، وعلى المرء أن يقهر جسده و يتغلب عليه لأنه أصل كل سوء. فهو يعتبر النفس مفارقة و الجسم مجرد

[1]- أفلاطون، **فيدون**( في خلود النفس)، ترجمها عن النص اليوناني مع مقدمات و شروح: د. عزت قرني، ط3، القاهرة، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، 2001، ص ص 52، 55

آلة لا تأثير لها على النفس و يذهب أفلاطون إلى أن الجسم عائق من شأنه أن يشغل النفس[1]

إن هذا الهجوم على الجسد الذي تم وصفه بصفات تحقيرية هو ما جعل الفيلسوف الألماني المعاصر نيتشه يهاجم الفلسفة الأفلاطونية لكونها افتقارا للحياة، ليقلب الأمر رأسا على عقب بإعلانه أن الجسد هو العقل الكبير في مقابل العقل الصغير الذي هو الوعي.

**ب- التمييز بين الجسد و النفس في الفلسفة الحديثة( رونيه ديكارت)**

يظهر الفصل بين الجسد و النفس عند أحد فلاسفة العصر الحديث الفيلسوف الفرنسي ديكارت( 1595-1650م) من خلال اكتشافه لمبدأ الكوجيتو: أنا أفكر، إذن أنا موجود، يعني أنني موجود من حيث أنا شيء يفكر، و هذا أول شيء توصل إليه بعد خروجه من الشك المنهجي في التأمل الثاني، أي الوجودكفكر، أما الوجود كجسم فإنه لم يصل إليه أو يثبته إلا في التأمل السادس. معنى ذلك أن معرفة النفس أسبق من معرفة الجسد. ربما يكون سبب تهميش ديكارت للجسم أو الانتقاص من قيمته هو أن الجسم فان، قابل للتجزئة،....، بينما النفس هي جوهر خالد، ثابت، غير قابل للقسمة. و بهذا يكون ديكارت قد فصل أنطولوجيا بين الجسم و النفس و أعطى الأولوية للنفس على حساب الجسم و هو لا ينفيه و لا يعترف به إنما اعتبره جوهرا يقوم بدوره من حيث إنه مادة مرتبطة بروح من الخارج فقط حيث نجده يقول: "**الجسد آلة صنعها الله فينا بطريقة منظمة. كل الآلات التي يمكن أن يخترعها و في ذاتها حركات أكثر تمييزا يتجاوز تفوقها الإنسان**"[2].

لكن السؤال الذي يمكن طرحه: هل استطاع ديكارت الفصل بين النفس والجسد معرفيا؟

[1]- حبيب الشاروني، **فلسفة الجسم في الفلسفة الوجودية**، مصر، دار التنوير للطباعة و النشر، ص11

[2]- René Descartes**, Discours de la Méthode**, cinquième partie, librairie philosophique J.Vrin. Paris, 1992,p120

لم يفصل بينهما معرفيا، بل وحد بينهما لأن المعرفة لا تحدث إلا باتحادهما، فنحن نختبر في إحساساتنا اليومية كالجوع و الظمأ نوعا من الاتحاد الجوهري بين الذهن و المادة و لكن إدراكنا له يكون غامضا و مشوشا[1]. و قد فسر هذا الاتحاد بالاستناد إلى دليلين: دليل ميتافيزيقي، يتمثل في قدرة الله الخارقة على جعل هذين الجوهرين يتصلان لحصول المعرفة. و دليل علمي، و هو أنهما يلتقيان في منطقة من الدماغ تسمى بالغدة الصنوبرية، و إن كان هذا لم يثبته العلم. فكانت حجتيه غير مقنعتين و بقيت إشكالية العلاقة بين النفس و الجسد قائمة.

## 2- النظرة المعاصرة للجسد( الجسد و حضوره في الفلسفة الغربية المعاصرة)

أحدث بعض الفلاسفة في الفكر الغربي المعاصر انقلابا في المنظور الفلسفي التقليدي حول علاقة الجسد بالروح، و الذي اعتبر الروح أعلى مرتبة من الجسد، و اتهم هذا الأخير بالقيد الذي يكبل الإنسان بقيود الرغبات و الشهوات، فقد عرف الجسم بانسيابه وراء دوافعه، مما جعله ينزل إلى مستوى الحيوانية. فكيف تغيرت هذه النظرة السلبية للجسد إلى نظرة إيجابية مع فلاسفة العصر المعاصر؟

### أ- الجسد قوام وجود الإنسان( فريدريك نيتشه):

ظهر نيتشه( 1844- 1900م)في مرحلة تحددت فيها معالم الثورة العلمية، حيث هوى بمطرقته على كل تفكير ديني و كل فلسفة مثالية، و حكم عليهما بالزيف واعتبر المثالية مرض، فبدأ برفض الأفكار و الموروثات القديمة واعتبرها أوثانا و بالتالي، لا بد من الهدم قبل البناء و بداية البناء كانت من إعادة الاعتبار للجسد بإحداث ثورة حول هذا المفهوم بتغيير الفكرة القديمة المتمثلة في الفصل بين النفس و الجسد و الاهتمام بالنفس على حساب الجسد.

[1]- جون كوتنغهام، **العقلانية**، تر: محمد منتقد الهاشمي، ط1 ، حلب مركز الانماء الحضاري، 1979 ص 66

بدأ نيتشه باحتقاره العقل، و له مبرراته في هذا، فهو (العقل) الذي أغرقنا في خرافة الميتافيزيقا كما يسميها نيتشه و قلل من شأن الحواس، و صنع لنفسه القدسية، فخدم بذلك المسيحية التي ترد أصل المعاصي و الذنوب إلى الجسم فجعلته علة الخطايا، و غرس في نفوس البشر فكرة أن العقل هو مصدر الخير و الشر، الصواب و الخطأ، الضرر والنفع....و خدعنا باعتقاده أن السعادة من الفضيلة، و الفضيلة هي ما يحدده حكم العقل وليس الحواس، و كل فرد ينبغي أن لا ينصت إلا لصوت العقل و إلا كان فاسدا أخلاقيا.

و قد أعلن نيتشه موت الأخلاق التي تهاجم النزوات و الشهوات من الجذر و التي تعني مهاجمة الحياة من الجذر[1]،معلنا أن العالم الظاهر هو العالم الحقيقي الذي نراه بحواسنا ويتجاوز ثنائية العالم الحقيقي المفارق / العالم الظاهر إلى أحادية العالم، و من هنا يتجاوز على هذا الأساس ثنائية الجسد و النفس إلى أحادية الجسد، أحادية تتأسس على البعد البيولوجي.

إذا كانت المعرفة العلمية اتخذت الجسد موضوعا للدراسة العلمية و التحليل من حيث كونه بنية من الأعضاء تؤدي وظائفها في تناغم و تناسق، فإن نيتشه اعتبر الجسد تعبيرا عن الحياة من خلال الربط الفيزيولوجي لوظيفة الجسد ( الجنس، التغذية، التناسل، أي الأبعاد الطبيعية). بينما العقل أو الفكر فليس سوى شكلا من الأشكال المشتقة من الجسد. فإذا كان المظهر الذي يتحدد به الجسد كجوهر، فإنه لا يمكن للإنسانأن يختبئ وراء مظهره، و أن المظهر هو الحقيقة بجلاء، فالجسد كمظهر يتجلى عبر الحواس التي تمدنا بمعطيات الواقع.

ربما يعود سبب تمجيده للجسد إصابة جسده بالمرض (فقد كان مصابا بالتهاب رئوي)، الأمر الذي جعله يقدر قيمة الجسد، فمن الألم يخرج الإبداع. المرض حسب نيتشه ليس نفيا للحياة بل هو فترة نقاهة للجسد واستعداده لخوض أكثر المعارك ضراوة لتمثيل إرادة القوة.

[1]– فريدريك نيتشه، **أفول الأصنام**، تر: حسان بورقبة، محمد الناجي، ط1، دار إفريقيا الشرق، 1996، ص36

**ب- الجسد وسط بين الأنا و الآخر( موريس ميرلوبونتي):**

وظف ميرلوبونتي(1908-1961م) المنهج الفينومينولوجي لتوضيح علاقة الإنسان بالعالم من جهة، و البحث في دور الجسد و المحسوس في التجربة الإنسانية و في نظرية المعرفة من جهة أخرى.

الجسد جهاز معرفي من خلاله يعرف المرء العالم بطريقة أولية سابقة على التأمل، و الوعي ليس له وجود آخر منفصل عن وجوده الجسمي، بل هو وعي جسماني أو كوجيتو متجسد، أو وعي جسماني متحد بالعالم، يكون مسلكه المميز هو التأسيس الإدراكي للعالم.

و قصدية الجسم أي الوعي المتجسد هي ما يمكن أن يحل مشكلة اتصال الوعي بعالمه.ويمكننا من فهم الوجود الإنساني بوصفه وجودا في العالم، فنحن عندما نفهم الوعي بوصفه متجسدا في صورة البدن، فإن الوعي في هذه الحالة لن يصبح قاصدا لموضوعات مغايرة له فالوعي المتجسد أو البدن يقصد عالما يكون ملتحما به،أي يكون بمثابة المحيط الذي يحيا فيه و يتحرك، لذلك فهو يقول أن العالم مصنوع من نفس نسيج البدن.

خالف ميرلوبونتي ديكارت في منح هذا الأخير أحقية المعرفة للعقل دون الجسد، و هذا في التأمل الثاني من التأملات الميتافيزيقية، و شكك في كل مادة و اعتبر الجسد، الصورة الامتداد، المكان...أوهاما للعقل، و هذه ليست إلا مرادفات للجسد، لكن بونتي يعطي للجسد الأحقية التي سلبت منه.

من هنا كان تجاوز ميرلوبونتي لكل من الطرح الديكارتي و الهوسرلي، و هناك نقاط كثيرة يختلف بها بونتي في طرحه للفينومينولوجيا التي جاء بها، و التي تتسم بمفهوم الإدراك،وهذا الأخير هو أساس فلسفة بونتي، كما أنه يؤكد على الفهم الظواهري أي الفهم الكلي باعتباره المنهج الوحيد للوجود المتجلي في عالم الأشياء. يقول:"**العالم الظاهري ليس وجودا خالصا،**

**لكن المعنى الذي يظهر في تقاطع تجاربي و تجارب الآخر"**[1]، ففلسفته هي فلسفة الاعتراف بالآخر و التفاؤل بالمستقبل.

يميز بونتي بين جانبين أساسيين من الجسد، أحدهما موضوعي لا يختلف عن أي جسم مادي فهو موضوع للدراسة البيولوجية و الطبية. و الآخر ذاتي فينومينولوجي يمثل أناي وقد اهتم بونتي بهذا الجانب الذي يمثل جسدي الذي هو ملكي في علاقته مع الآخرين والتواصل معهم ووجوده في العالم.

إن جسم الآخر بمثابة موضوع يشكل مع جسمي كلا واحدا، فهو امتداد لجسمي مثلما تعمل العينان بالعمل المشترك في نقل صورة واحدة، لذلك فإنني أشعر حسب بونتي بأن الآخر جسمه خاصا مماثلا في تكوينه لجسمي.إننا ندرك الآخر عن طريق التواجد معا[2]، و لا يكاد أحدنا يشرع في القيام بعمل مشترك مع الآخر حتى ينشأ بيننا ضرب من الاتصال حيث يوجد حضور دائم للآخر و لا يمكن تهميشه أو تغييبه، و الحاجز بيننا و بين الغير دقيق جدا إذا كانت هناك قطيعة فليست بيني و بين الآخر، فالغير و جسمي يولدان معا إلى الوجود الأصلي بيني و بين الآخر.

تعتبر فكرة الجسد عصب فلسفة بونتي، ناقش من خلالها مسائل مثل: الإدراك الحسي، بنية السلوك، اللغة، الجسد الآخر، العالم، متجاوزا الطرح الكلاسيكي القائم على ثنائية الجسد والروح و الجدلية القائمة بينهما حتى فلسفة نيتشه.

الجسد عند بونتي هو وعي و معرفة، عليه تبنى العلاقات الأنطولوجية مع الأشياء والآخرين ( كونهم أجسادا)و العالم.إن تجربة الجسد الخاص أو الفينومينولوجي هي تجربة المعيش، تجربة الوجود في العالم بغموضها والتباسها، هذه التجربة الوجودية وحدها هي التي

[1]- Maurice Merleau Ponty, **Phénoménologie de la perception**, Paris, Gallimard, 1945, p1
[2] - Maurice Merleau Ponty ,**Phénoménologie de la perception**, p 404

تواجه الفكر التأملي الذي يفصل بين الذات و الموضوع و يمنحها فكرة الجسم، حيث أن هناك كيفيات عديدة للجسد ليكون جسدا للوعي، ليكون واعيا.

نستخلص من ذلك إذن أن فينومينولوجيا بونتي هي في حقيقتها فينومينولوجيا وجودية[1] لأنها تؤكد على أولوية أنا موجود الذي يعني العودة إلى العالم و عودة الذات المتجسدة بما هي حضور في العالم، و هم و بهذا يؤكد على أن الوجود في العالم هو وجود جسدي.

و هو نفس الاتجاه الذي يذهب إليه غابرييل مارسيل( 1889–1973م )، الذي يقول أنني جسم قبل أي شيء آخر، فهو يؤكد أن الإنسان بدن و ذات متجسدة قبل كل شيء. فقد أراد لفلسفته أن تنطلق من شيء باد للعيان و ملموس و هو الجسد. إذن فأنا ذات متجسدة، تعيش في العالم. و عندما أقول أن الشيء موجود، فإن هذا يعني أنه بإمكاني الذهاب إليه وبأنه قابل للاتصال بجسمي[2] .

إن الرؤية النيتشوية للجسد غيرت مجرى الفكر المعاصر و أحدثت انقلابا جوهريا في الفكر الكلاسيكي، فالجسد هم من المقدسات التي يجب أن نؤمن بها و نصدقها. ما هوموجود وحقيقي هو المتجلي أمامي لأنه مرئي ، هذا لا يعني أننا نفصل بينالجسد و الروح، بالعكس نحن نربط بينهما لأنهما يمثلان شيئا واحدا.

إن احتقار الجسد و تهميشه من قبل الأساس الميتافيزيقي الممثل بأفلاطون إلى ديكارت والذي بنيت عليه الفلسفة الغربية و الديانة المسيحية( التي تنظر إلى الجسم باعتباره مصدرا للشرور و محطة لتفريغ الشهوات و الرغبات)، جعلت نيتشه يبدع مفاهيم جديدة من بينها وصف الجسد بأنه عقل كبير، و يعتبر الروح عقل صغير نظر إليه بأنه أداة بيد الجسم. هكذا أيقظت مطرقة نيتشه كثيرا من العقول و قلبت العديد من المفاهيم.

[1]- Moran Dermo**, Introduction to phenomenology**, London and New York, Routledge, Taylor and Francis Group,2002,p402

[2] - لاتي حاج أحمد، **مكانة الجسد** في **الفلسفة الغربية** (**موريس ميرلوبونتي**)، مجلة سلسلة أنوار، المجلد12، العدد01، 20 ماي2022، ص352

إن المسيرة الفكرية و الابداع المتتالي في الفلسفة الغربية فتحت عوالم مهمة في الفكر الراهن في شتى المجالات بل و أبدعت مفاهيم جديدة حول قداسة الجسد، بعدما كان مغيبا، فقد أعيد له الاعتبار، فلا يمكن لأحد منا أن ينكر أننا نفكر عن طريق الجسد .

فالشيء الذي يتميز به ميرلوبونتي، هو أنه أعطى الجسد حضورا متميزا عن باقي الأشياء ، فهو بمثابة الأثر الذي لا يمحى، حيث لا يمكن الاستغناء عنه سواء في معارفنا أو في تجليات وجودنا، فهناك ديمومة بين الجسد و النفس .

إن حضور الجسد في العالم هو عبارة عن ديمومة متفردة عن ديمومة الأشياء الموجودة في العالم، و الفرق بينهما هو أن الجسد استطاع مقاربة الأشياء و فهمها و الولوج إليها، عكس الأشياء، فهي لا تستطيع فهمي أو رؤيتي، لذا فحضور الجسد في العالم هو حضور متفرد متميز، و هذا يعني أن للجسد أهمية كبيرة و مركزية في العالم.

بهذا يمكننا استنتاج أن ميرلوبونتي استطاع إخراج الجسد من قوقعة التهميش إلى جعله اليوم وسيطا بين الأشياء، و أصبح اليوم ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لفهم الوجود. فالجسد هو منبع الفكرو الوعي و الحركة. إن اهتمام بونتي بالجسد و دوره في العالم ألهمت المفكرين اليوم بضرورة الاهتمام به، خاصة في مجال البيوإتيقا مثلا .

**ج- الجسد من التهميش الى المركز( فوكو):**

قدم فوكو(1926-1984م) مقاربة فلسفية بين الجسد **و** أركيولوجيا المعرفة-السلطة محللا الواقع التاريخي والراهن من زاوية سوسيو فلسفية نقدية. يعرف بأنه فيلسوف جريء، استطاع أن يفكك و يقتحم عالم الطابوهات، و أن يبني منهجا خاصا معتمدا في ذلك على أركيولوجيا المعرفة.

ركز على الجسد، فأضفى عليه نوعا من القداسة و الحرية و ذلك برفضه لأي نوع من أنواع التعذيب المسلطة على الانسان. رفض مركزية العقل على حساب الجسد فانطلق من نقد

الكوجيتو الديكارتي، ذلك أن الجسد هو حامل السلوكات و الصفات، و هو الذي يتوجه نحو العالم و يتواصل مع الغير، فقيام علاقات مع الآخرين و مع العالم لا تكون إلا عن طريق الجسد. لقد اهتم فوكو بالذات و جعلها المحور الأساسي لفكره، و هي تمثل بالطبع الجسد و هذا الأخير لا حدود لإمكانياته و قدراته حين يصبح أثرا فنيا و إبداعا للحياة.

ربما نلاحظ امتدادا لموقف ميرلوبونتي من الجسد– في فلسفة فوكو، ذلك أن بونتي أحدث نقلة نوعية تاريخية بتحويله الجسد من اللامرئي إلى المرئي. اتبع فوكو نفس نهج بونتي وركز على جانب آخر من الجسم و هو الجسم المعذب، و ينطبق هذا على السجناء حيث تتعرض أجساد هؤلاء إلى الاعتقال و الأشغال الشاقة و المؤبد...و غيرها من العقوبات.

و هذا ما رفضه فوكو، فعقوبة السجن انتهاك للحريات و هذا لا يجوز، كما لا يجوز استعمال الجسد كرهينة أو أن يسلب من صاحبه بحجة أنها عقوبة أباحتها السلطة. و من هنا كان فوكو ينظر إلى الجسد– إن صح التعبير– على أنه مفعول به و ليس فاعلا كما هو عند بونتي، فهذا الأخير يرى أن الجسد هو الذي يخضع المجتمع و السياسة له،أي نظرته كانت إيجابية، بينما نظرة فوكو فكانت سلبية. لماذا؟، لأنه نظر للخطاب على أنه خطاب سلطوي، وبالتالي فهو يقيد حريتي، كما أنه قامع للرغبات و يؤدي إلى الصراعات وبالتالي، يصبح الجسد مفعولا به من قبل سلطة الخطاب.

و البيوإتيقا، هذا المصطلح الذي ظهر اليوم دليل على أن الإنسان له الحق في الحياة و بهذا حاول فوكو أن يعيد للإنسان إنسانيته و كان له تأثير على الفلاسفة ما بعد الحداثيين من خلال تغيير بعض الأساليب الردعية من بينها التعذيب أمام الملإ، استبعاد القصاص...

و لكن هذا لا يعني أن العقاب اختفى تماما كوسيلة للردع فهو يعتبر نوعا من أنواع السلطة على الجسد،إلا أن فلسفة فوكو ساهمت في بعث أخلاقيات جديدة عندما ذكر في كتابه **المراقبة و المعاقبة ولادة السجن** أن المشهد الكبير للعقاب الجسدي قد انمحى في القرن

التاسع عشر و أخفي الجسد المعذب واستبعد من الرصاص عرض مشهد الألم و قد تم الدخول في حقبة الرزانة العقابية[1].

إن الدراسة الفلسفية التاريخية للجسد، التي قام بها فوكو تبين خضوع الجسد لقوانين السلطة البورجوازية وقد عمل على جعل الجسد أساسا للسلطة عن طريق الخطاب بأن ذلك التهميش السياسي ثمن دفعه المجتمع الغربي الحداثي تحت قوانين المراقبة.

و بهذا يمكننا أن نستنتج أن فوكو تحدث و بجرأة عن موقفه من العقل و مهد بعد هذا النقد لكوجيتو الجسد، و في هذا دعوة إلى العودة إلى إنسانية الإنسان بغض النظر عن توجهاته الفكرية أو الدينية أو العرقية.

**3- التعدي على قداسة الجسد:**

إن كلمة قداسة تعني تمجيد الجسد، و قد رأينا من قبل كيف نادى عدد من الفلاسفة بإعادة الاعتبار للجسد، لا سيما نيتشه، ميرلوبونتي، فوكو....و غيرهم.

المشكلة ترتبط اليوم بجملة التطورات التي ظهرت في مجال التقنية و التي طبقت على الجسد، و هذا ما زاد من التلاعبات الحاصلة على مستوى الجسد و هذا يعني تعد عليه وبهذا فقد انتقل الجسد من القداسة إلى التعدي. فالخوف من الموت جعل توجهات كل تلك التطورات نحو ميدان الطب من أجل إيجاد علاج لأمراض مستعصية أو لأغراض تجميلية .وتجاوز التعدي على الجسد إلى درجة الوصول إلى ما يسمى بالموت الرحيم و كذا التدخلات في الإنجاب...، من خلال تقنيات حديثة طرحت بعد ذلك مشكلات أخلاقية .والسؤال الذي يمكننا طرحه في هذا السياق هو: كيف تم التعدي على الجسد من خلال هذه التقنيات، و ما هي نتائج ذلك؟

**أ- في المجال الطبي البيولوجي:**

[1]- ميشيل فوكو **المراقبة و المعاقبة ولادة السجن**، تر: علي مقلد، مركز الانتماء القومي، بيروت- لبنان، 1990، ق53

أصبح الجسد اليوم موضوعا للتجربة و الأبحاث العلمية و الفلسفية، فهو اليوم أصبح موضوع تغيير و تحويل سواء ما تعلق بمجالات التجميل أو التعديل الوراثي الذي اتخذ مسارا صار من الصعب التحكم فيه و في آلياته المستحدثة و نتائجه و مجالات الإشهار والموضة التي أصبحت تتحكم في هذا الجسد و تسيره كيفما شاءت.

إن الجسد الذي نقوم اليوم بتدليله و تدريبه في صالات الرياضة ونعتقدأنه انتصر على صراعه الأبدي ضد العبودية هو في الحقيقة تضليل، فثنائية النفس و الجسد قد عادت إلى الواجهة اليوم من خلال عبودية جديدة.

هناك عدة ممارسات طبية تطبق على الجسد الإنساني باسم التطورات التكنولوجية، إلا أن هذا يعد تعد على الجسد كالتلقيح الاصطناعي، الإجهاض الذي هو إنهاء حياة إنسان بدل حمايته. و السؤال الذي يمكن طرحه لماذا الإجهاض؟، إذا كانت البويضة الملقحة هي التي تحمل شخصية الطفل و حياته، فهل نقبل إجهاضها؟

يمكن تبرير الإجهاض بالتشوهات الخلقية و بغرض تحسين النسل، و هذا ليس أمرا جديدا فقد كان أفلاطون ينادي بزواج الضعيف من الضعيف و القوي من القوي ليلد أطفالا أصحاء[1].

يضعنا الإجهاض في حيرة: من يحق له إنهاء حياة الجنين انطلاقا من مبدأ قداسة الحياة؟ألا يعتبر هذا قتلا عمديا تحرمه الديانات و الدول؟،أم أن الإجهاض في بعض الحالات ضرورة في حالة التشوهات الخلقية للجنين التي ستجعله يعيش و كأنه ميت؟. هل يصبح الإجهاض في هذه الحالة ضرورة؟

أما بالنسبة للأمر الأكثر خطورة، و الذي يجسد فكرة التعدي على جسدالإنسان، فهو الموت الرحيم.

[1]– François Dagognet, **Le Vivant,** édition Bordas, Paris, 1988, p177

إذا استقرأنا تاريخ البشرية، وجدنا أن الإنسان منذ وجد على سطح هذه الأرض و هو يحاول الحفاظ على حياته، سواء من الحيوانات المفترسة أو من الحروب، مما يعني أن الحياة مقدسة عند الإنسان، و لهذا أنشئت منظمة حقوق الإنسان.أما اليوم فقد ظهر مصطلح جديد يسمى بالموت الرحيم و الذي يعني تدخل الطبيب لإنهاء حياة المريض حتى لا يتألم مادام مصيره هو الموت.

لكن منيأخذ قرار الموت؟: هل هو المريضأم أهله أم الطبيب نفسه. هل ستتسبب هذه القرارات في موت غير مشروع؟.

على الرغم من أن كثيرا من الفلاسفة أباحوا الموت الرحيم واعتبروه حرية شخصية،إلا أنه يعد على الرغم من ذلك تعد على كرامة الإنسان، لأن الله هو من وهب الحياة و هو من يقرر متى سينهيها، و لا يجوز للطبيب أن يتدخل و ينهي حياة الأشخاص، بل بالعكس فمهمته هي منح الحياة لهم.

إن هذه المقاربة بين الفلسفة و البيواتيقا تلخص ما نعانيه اليوم جراء التطورات على مستوى البيوتقنية، و هو أيضا عبارة عن مقاربة ما هو فلسفي بما هو طبي بالاستعانة بالبيواتيقا لمناقشة و تحليل القضايا الراهنة التي أعادت سؤال الجسد من جديد.

**ب- في المجال الفني:**

ظهر فن معاصر يسمى بالفن الجسدي يقوم باستغلال التقنية و التطور التكنولوجي وتوظيفها من أجل التأسيس لخطاب فني معاصر يمرر من خلاله الفنان أفكاره إلى العالم.

هنا تشير الفيلسوفة الإيطالية ميشيلا مارزانو إلى أن الجسد قد تحول من جسد ذات إلى جسد غرض فني، حيث أصبح اليوم قابلا ليس للتعديل فقط بل للتحويل و التحوير و هذا من خلال إضافة لمسات جديدة ليصبح بهذا أداة للتعبير عن ميولات الفنان. لقد أصبح الجسد اليوم قابلا لإعادة تشكيله من جديد و تم توظيفه دون مراعاة حرمته، و يمكن

الاستشهاد بالفنانة الفرنسية أورلان(1947م) إحدى أهم فنانين و فنانات نحت الذات(الفن الجسدي)[1].

فهذه الفنانة و النحاتة و المصورة الفرنسية تعتقد أن الجسد غرض فني يتم تشكيله من خلال التقنيات التكنولوجية وفقا لرغبات الفنان، فقد كانت ترغب في إظهار ما بداخلها حتى يتمكن الآخرون من رؤيته. و هكذا يصبح الجسد لوحة فنية فلسفية تعبر عن خطاب مستقل عن أي إيديولوجيات. فالجسد في اعتقادها هو ملكية خاصة يفعل به صاحبه ما يريد[2] .

**ج- نظرة استشرافية في محاولة للحفاظ على الجسد( دور الفلسفة):**

إن سؤال الجسد – كمقاربة شاملة- بدأ مع فينومينولوجيا ميرلوبونتي يفتح أفق التفلسف من جديد، فمن مقاربة فينومينولوجية إلى سوسيوأخلاقية إلى دينية و بيوإيتيقية.

– يكتسي الجسد أهمية كبيرة و حضورا دائما و لا يمكن تجاوزه كما كان في الفلسفات السابقة كونه يمثل آلية وجودنا وانفتاحنا على العالم و على الآخر، و الجسد هو ما يمثل كينونة الإنسان

– على المفكرين و الفلاسفة دراسة الجسد و الاهتمام به و التساؤل حول وضعه الحالي وما آل إليه اليوم.

– على الفلسفة أن تعيد اكتشاف الجسد من جديد و تبين قيمته التي فقدها بسبب الممارسات الإنسانية في حقه في الوقت الراهن.

– على الفلسفة أن تسلط الضوء على كل ما هو جديد في التعامل مع الجسد كظاهرة يومية تتجدد بشكل مستمر بسبب الامكانيات التي وفرها التطور التكنولوجي.

[1] - قسومي طلال، **الجسد و التكنولوجيا في الفن المعاصر، أبعاد التداخل بين البث و التلقي**، مجلة رواق، العدد3 جانفي2018، ص5

[2] - ميشيلا مارزانو، **فلسفة الجسد**، تر: نبيل أبو صعب، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت - لبنان 2011 ،ص39

– رغم ما تعرض له الجسد في عصرنا،إلا أنه مازال حاضرا يذكرنا بوجوده و بوجودنا في آن واحد.

– و آخر ما نختم به بحثنا هذا هو نظرة استشرافية للجسد و ضرورة بناء فلسفة للجسد تعنى بفهم و تحليل سلوكيات الإنسان.

## 4– الخاتمة:

من خلال دراستنا لمكانة الجسد في الفلسفة الغربية و تحليلنا لآراء مجموعة من الفلاسفة استخلصنا النتائج التالية:

تعددت التصورات و تفاوتت المواقف التي تناولت الجسد بالبحث، فقد نظر إليه في العصور القديمة باحتقار واعتبر سجنا للنفس، كما عده البعض شيئا ماديا يعوق الروح على الوصول إلى أصلها الرباني ليتحول هذا التصور في الفكر الحديث إلى نظرة آلية للجسد جراء التغيرات العلمية، الأمر الذي كانت له انعكاسات أدت إلى ظهور الجسد موضوعا للتجربة العلمية و هذا ما حدث مع التجميل و التعديل الوراثي و هو ما اختلط بالدوافع الربحية إلى درجة أن أصبح سلعة ليس فقط في المجال العلمي من زرع و بيع للأعضاء، بل حتى في مجالات الإشهار و الموضة نظرا لما يتيحه الجسد من إمكانيات الإغواء و الإثارة. باختصار انتقلت البشرية من مرحلة احتقار الجسد إلى الاهتمام به إلى التعدي عليه كما تجسد في الاستنساخ والموت الرحيم.....

إن تقنية زرع الأعضاء قد طرحت ما يصطلح على تسميته بفلسفة الجسد، فكان النقاش حول مفهوم الجسد و ملكيته و حق التصرف به مما جعل المفهوم المعاصر أكثر استقلالية و فردية، و دعا إلى حرية التصرف بالجسد رغم اختلاف الآراء حوله. و المرجح أن يكون للإنسان حق الانتفاع بجسده، إلا أن ملكيته لله تعالى، لذلك وجب الحفاظ عليه واحترام قداسته .

نقول في ختام بحثنا هذا أن الرؤى حول الجسد مختلفة، و هي الآن تزداد تعقيدا مع ظهور الجسد المعدل جينيا خصوصا مع اكتشاف الجينوم و ظهور ما يسمى تحديد النسل و عودة فكرة إكسير الحياة و الشباب الدائم و ما صاحب كل ذلك من صرخات أخلاقية ستجعل الجسد مثار نقاش لن ينتهي.

## قائمة المصادر و المراجع

### أولا: قائمة المصادر

#### أ- باللغة العربية:

1. أفلاطون، **فيدون**( في خلود النفس)، ترجمها عن النص اليوناني مع مقدمات و شروح: د. عزت قرني، ط3، القاهرة، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، 2001
2. فوكو ميشيل، **المراقبة و المعاقبة ولادة السجن**، تر: علي مقلد، مركز الانتماء القومي، بيروت- لبنان، 1990
3. نيتشه فريدريك، **أفول الأصنام**، تر: حسان بورقبة، محمد الناجي، ط1، دار إفريقيا الشرق، 1996

#### ب- باللغة الأجنبية

1. Dagognet François, **Le Vivant,** édition Bordas, Paris, 1988
2. Descartes René**, Discours de la Méthode**, cinquième partie, librairie philosophique J.Vrin. Paris, 1992
3. Ponty Maurice Merleau, **Phénoménologie de la perception**, Paris, Gallimard, 1945

### ثانيا: قائمة المراجع

#### أ- باللغة العربية:

1. الشاروني حبيب ، **فلسفة الجسم في الفلسفة الوجودية،** مصر، دار التنوير للطباعة والنشر
2. كوتنغهام جون، **العقلانية،** تر محمد منتقد الهاشمي ط1 حلب مركز الانماء الحضاري 1979
3. مارزانو ميشيلا ، **فلسفة الجسد،** تر: نبيل أبو صعب، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان 2011 ،

**ب- باللغة الأجنبية**

1. Moran Dermo**, Introduction to phenomenology**, London and New York, Routledge, Taylor and Francis Group,2002

**ثالثا: المقالات:**

*1.* قسومي طلال، **الجسد و التكنولوجيا في الفن المعاصر، أبعاد التداخل بين البث و التلقي،** مجلة رواق، العدد3 جانفي2018
2. لاتي حاج أحمد، **مكانة الجسد** في **الفلسفة الغربية (موريس ميرلوبونتي)**، مجلة سلسلة أنوار، المجلد12، العدد01، 20 ماي2022.